

كارثة الحج: أسباب رئيسية سببت أزمة الوفيات بتواطؤ حكومي

سجل موسم الحج لهذا العام أعلى عدد قتلى منذ عشرة أعوام فيما الحصيلة لا تزال مرشحة للارتفاع في وقت تم الكشف عن أسباب رئيسية سببت أزمة الوفيات بتواطؤ حكومي.

وتشمل الاسباب منع السلطات السعودية دخول العديد من الباصات إلى المشاعر المقدسة لنقل الحجاج بسبب عدد الباصات الكبير الذي يربك ضباط الحرس الملكي في تنظيم وحماية تحركات ولي العهد محمد بن سلمان المفاجئة.

كما تم إجبار الحجاج كبار السن على المشي لمسافات طويلة جداً وعدم توفر مياه الشرب بشكل كافي بالإضافة إلى عدم وجود عربات لنقل كبار السن.

في الوقت ذاته تم منع جلوس الحجاج للراحة بحجة أن ذلك يعيق الحركة، بينما بالأمر العسكري تم منع الأفراد من مساعدة الحجاج الذين لا يحملون تصاريح وتجاهلهم.

فضلا عن ذلك اضطر الكثير من الحجاج إلى السير لمسافات طويلة في ظل الحر الشديد بسبب حواجز الطرق وسوء الإدارة. إغلاق بعض المنعطفات هذه السنة تسبب في زيادة مسافات المشي للحجاج، مما يعرضهم لضربة الشمس والإرهاق ونقص المياه المتاحة.

من جهتها علقت صحيفة "وول ستريت جورنال" الأمريكية بأنه مع تجمع ما يقرب من مليوني حاج مسلم في محاري السعودية لأداء فريضة الحج السنوية، كانت المملكة مستعدة لكل شيء، من الهجمات الإرهابية إلى المظاهرات ضد الحرب الإسرائيلية في قطاع غزة.

لكن التهديد جاء من الحرارة، فقد ارتفعت درجات الحرارة فوق 125 درجة فهرنهايت في وقت ما هذا الأسبوع - وهو مستوى مرتفع بشكل غير عادي في منتصف يونيو - وتوفي أكثر من 1170 شخصًا.

وقال متحدث باسم وزارة الخارجية إن من بينهم عددا من الأمريكيين، وقد تفاقم الوضع بسبب وجود عدد كبير من الحجاج غير المسموح لهم والذين لم يتمكنوا من الوصول إلى مرافق التبريد أو مجموعة كاملة من الرعاية الصحية المتاحة.

ويعد عدد القتلى في موسم الحج هو الأعلى منذ حادث التدافع الذي وقع عام 2015 وأدى إلى مقتل أكثر من 2000 شخص، ولا يزال يتم إحصاء الوفيات والعدد من المرجح أن يرتفع، حيث أن مئات الأشخاص إما في عداد المفقودين أو في المستشفى بسبب ضربات الشمس الشديدة وكان من بين القتلى مئات المصريين.

بدأ الحجاج في الاستسلام للحرارة يوم السبت الماضي، في اليوم الأول للحدث، عندما قام المصلون برحلة لمسافة 10 أميال تقريبا لتسلق جبل عرفات ثم الوقوف في الخارج لساعات للصلاة قبل العودة إلى مكة.

وقال محمد كمال، متخصص في تكنولوجيا المعلومات من القاهرة، إن والده البالغ من العمر 70 عامًا توفي بعد أن ذهب إلى الحج من خلال شركة سياحة مصرية فرضت عليه نصف التكلفة القياسية لكنها أحضرتة إلى مكة بتأشيرة غير نظامية قبل ثلاثة أسابيع للالتفاف على متطلبات التصريح السعودي.

وامتلأت الحافلة التي تم ترتيبها لنقله إلى عرفات يوم السبت بسرعة، فدفعت 400 دولار مقابل رحلة أخرى لكن الشرطة منعت تلك الحافلة من نقل الحجاج غير المسموح لهم، وأجبرته على السير لأميال.

سمع كمال آخر مرة عن والده بعد ثماني ساعات عندما وصل إلى مسجد نمرة في عرفات لأداء صلاة الظهر

وبعد ذلك، كان هاتفه مغلقا .

وقام الأقارب في المملكة بزيارة مستشفيات المنطقة، لكنهم لم يعلموا بوفاة والد كمال إلا يوم الثلاثاء وظهر اسمه في قائمة المتوفين على الإنترنت دون الإشارة إلى السبب.

وقال كمال إنه ألقى باللوم على شركة السياحة لعدم تقديم خدمات كافية وتحذيرات بشأن المشقة التي ينطوي عليها الحج.

وأضاف أن "أغلب الحجاج من كبار السن ويعانون من أمراض مزمنة، ودرجة الحرارة هناك تزيد عن 50 درجة مئوية"، وهي درجة تزيد عن 120 درجة فهرنهايت "كيف يمكن لشخص مسن أن يتحمل المشي مسافة 20 كيلومترا في الحر والشمس؟"

تحدد المملكة العربية السعودية عدد الحجاج من كل دولة وللتحايل على الحدود القسوى وتوفير تكلفة عروض السفر المسموح بها والتي تبدأ عادة بعدة آلاف من الدولارات، يسافر الكثير من الناس إلى البلاد كسائحين ثم يتسللون لأداء طقوس الحج.

ولا يتمتع الحجاج غير المصرح لهم بإمكانية الوصول إلى الحافلات الرسمية أو الأماكن المكيفة، لذلك انتهى بهم الأمر إلى القيام بالرحلة إلى عرفات وقضاء اليوم كله في الشمس، وغالباً بدون ما يكفي من الماء أو المظلات.

وفي مقابلات مع صحيفة وول ستريت جورنال وشهادات فيديو نشرت على الإنترنت، قال بعض الحجاج إن الشرطة السعودية سمحت لهم بالوصول إلى عرفات يوم السبت دون تصاريح، لكنها لم تستجب لاحقاً لنداءات المساعدة عندما أبلغوا عن انهيار الناس أثناء السير.

وقال آخرون إن الشرطة وزعت الطعام والمياه والمظلات، لكن سيارات الإسعاف كانت مكتظة.

وأظهرت لقطات مصورة عدة جثث ملقاة على جانب طريق في منى، على الطريق بين عرفات ومكة.

وقال أحمد محمد، وهو مصري يبلغ من العمر 31 عاماً شارك في الحج دون تصريح، إنه أثناء نزوله من عرفات حاول مساعدة رجل كبير في السن كان منهكاً للغاية لدرجة أنه لم يتمكن من الاستمرار وأخبرته

الشرطة والمسعفون أن لديهم مكالمات أخرى يجب الرد عليها أولاً، فدفع الرجل على كرسي متحرك لمدة ساعة إلى عيادة خاصة، والتي رفضت قبوله وأخيراً، تمكن ابن عم محمد من الاقتراب بما يكفي بسيارة ليتمكنوا من تحميل الرجل ونقله إلى مستشفى عام، حيث دخل العناية المركزة.

وقال محمد: "معظم الناس يسIRON لمسافات طويلة، والحشود هائلة" مضيفاً "لقد كانت الشرطة وخدمة الإسعاف غارقة في المكالمات التي لم يكونوا مستعدين للتعامل معها".

وقالت جدة أردنية مصابة بالتهاب المفاصل إنها شعرت بالملاحقة والمضايقة من قبل الشرطة لأنها لم تكن تملك تصريح الحج وعندما منعت الشرطة مجموعتها من الوصول إلى عرفات، ساروا عبر الصحراء "شعرت وكان الرمال كانت فحماً مشتعلًا" وقالت: "احترقت أقدام الناس وأصبحت منتفخة".

ولم تعلق السعودية على عدد القتلى ولم ترد على أسئلة حول ما حدث في موسم الحج هذا العام الذي شارك فيه نحو 1.83 مليون شخص وقالت يوم الاثنين إن أكثر من 2700 شخص تلقوا العلاج من ضربة الشمس ونشر الجيش أكثر من 1600 فرد مع وحدات طبية مخصصة لضربات الشمس وزود بـ 30 فريقاً للاستجابة السريعة وشارك 5000 متطوع إضافي في مجال الصحة والإسعافات الأولية أيضاً.

وأكد وزير الصحة فهد الجلال، الثلاثاء، أن الخطط الصحية تم تنفيذها بنجاح، دون تفشي أي مرض أو تهديدات أخرى للصحة العامة وقال إن إصابات الإجهاد الحراري تم تقليلها إلى الحد الأدنى من خلال تثبيط الحجاج عن أداء الشعائر خلال درجات الحرارة القصوى.

وطلب المسؤولون السعوديون من الحجاج البقاء رطبين وحمل المظلات ونصحوا الحجاج يوم الاثنين بعدم أداء طقوس "رجم الشيطان" الرمزية في منتصف النهار بعد ارتفاع درجات الحرارة، وشجعوا المصلين يوم الخميس على الصلاة في المساجد المحلية في جميع أنحاء مكة بدلا من المسجد المركزي للحد من الازدحام وتجنب ارتفاع درجات الحرارة.

يعد الحج، وهو حدث يستمر خمسة أيام ويقام منذ القرن السابع، واجباً لمرة واحدة في العمر على المسلمين القادرين على القيام بالرحلة وهو أحد أكبر التجمعات السنوية في العالم، كما أنه مصدر لمكانة سياسية ودينية كبيرة للمملكة العربية السعودية باعتبارها الوصي على أقدس المواقع الإسلامية ويدير إيرادات بمليارات الدولارات للمملكة كل عام.

ويمكن أن تحمل حوادث السلامة والأمن مخاطر جيوسياسية، مما يزيد من دعوات المنافسين السعوديين مثل إيران والمتمردين الحوثيين في اليمن لوضع مكة والمدينة تحت الإدارة الدولية.

كان القلق الأكثر وضوحاً قبل موسم الحج هذا العام، هو أن حرب إسرائيل في غزة قد تهدد بإثارة الاضطرابات بين المصلين المسلمين، الذين يعارض الكثير منهم الاحتلال الإسرائيلي للأراضي الفلسطينية، فضلاً عن انفتاح المملكة على إقامة علاقات رسمية مع إسرائيل عبر صفقة مدعومة من الولايات المتحدة.

وسعت السعودية إلى الحد من عدد الحجاج غير المسموح لهم بالحج من خلال التهديد بالاعتقال والغرامات، حتى في الوقت الذي كانت تهدف فيه إلى مضاعفة الطاقة الاستيعابية الرسمية للحج إلى ستة ملايين بحلول عام 2030.

لكن جهود المملكة لبناء صناعة السياحة التقليدية جعلت أيضاً فمن الأسهل على الأجانب دخول البلاد لأغراض أخرى والاختباء في مكة في انتظار بدء المناسك.

وقال مدير الأمن العام السعودي محمد البسامي قبيل الحج إن الحجاج غير المرخصين "شركاء في هذا الاعتداء" وكرر تحذيراتهم بأنهم سيتعرضون للاعتقال إذا سعوا للمشاركة في المناسك.

وقال عمر كريم، الخبير في السياسة السعودية بجامعة برمنغهام في إنجلترا، إنه يمكن القول إن الحجاج غير المصرح لهم يتحملون مسؤولية تعريض حياتهم للخطر لكنه قال: "كان بإمكان سلطات الحج اتخاذ إجراءات سريعة وربما أنقذت بعض الأرواح".

وذكر مسؤولون من حكومتهم إن من بين القتلى أكثر من 680 مصرياً، وجميعهم تقريباً شاركوا دون تصريح ولا يزال 700 مصري آخرين في عداد المفقودين.

كما توفي ما لا يقل عن 212 إندونيسياً، وفقاً لوزارة الشؤون الدينية في البلاد، التي حددت ضربة الشمس والالتهاب الرئوي على نطاق واسع باعتبارها الأسباب الأكثر شيوعاً. قال المتحدث باسم وزارة الخارجية الهندية راندير جاي سوال اليوم الجمعة إن 98 مواطناً هندياً لقوا حتفهم لأسباب منها المرض والإصابات وكذلك الحرارة الشديدة يوم زيارة الحجاج عرفات. وقد عانى كلا البلدين من خسائر أعلى في السنوات السابقة.

كما توفي العشرات من الحجاج الآخرين، بما في ذلك من الأردن وباكستان وتونس وتركيا وإيران ولم يكن من الواضح عدد الأمريكيين الذين ماتوا وقال المتحدث باسم وزارة الخارجية في وقت متأخر من يوم الخميس: "الوضع ديناميكي، لذلك ليس لدينا رقم محدد لكم في هذا الوقت".

وكان العديد من الذين ماتوا مرضى أو كبار السن، مما جعلهم أكثر عرضة للإجهاد الشديد في الحرارة وقد وجدت الدراسات الحديثة أن ارتفاع درجات الحرارة باستمرار في مكة يمكن أن يعرض أداء الحج للخطر خلال أشهر الصيف بحلول أربعينيات القرن الحادي والعشرين.